فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "يحبهم ويحبونه"

إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

لفضيلة الشيخ: مسعد أنور

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-30522.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومَن والاه. أما بعد..

إخوتي في الله أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله أسأل أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

أحبتي في الله ما زال الحديث بنا موصولاً مع الذين يحبهم الله ويحبونه، اللهم اجعلنا منهم، اللهم اجعلنا معهم. وهذه هي الحلقة السادسة بعد العشرين وقد جعلتها تحت عنوان..

إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

أحبتي في الله، لا شك ولا ريب في أن الذي يحب أن يفوز بمحبة أحد يبحث عن الذي يرضيه.. فيصنع، يبحث عن الذي يحبه.. فيفعل، ويتحاشى الذي يُسخطه، ويتلافى الذي يُغضبه.

ولذلك كان من الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل تجنب مساخط الله عز وجل، الله عز وجل لا يحب المتكبرين، الله عز وجل يحب المتواضعين اللينين، السهلين، الهينين، الرفيقين.

قال جل جلاله: "لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ" سورة الحج:٢٣

وقال عز من قائل: "إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا" النساء:٣٦

وقال جل جلاله: "وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" سورة لقمان:١٨

أحبتي في الله إن الكِبْر والعُجْب داءان عظيمان، إن الكبر والعجب من الآفات العظيمة المهلِكة مجرد العدوى فقط بمرض الكِبر تأتي بالهلكة والدمار والخسار والعار على صاحبها في الدنيا والآخرة، ذرة كِبر فقط تصيب القلب تُدخل صاحبها إلى النار.

وقد روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" صحيح مسلم يكبه الله على وجهه في النار، مصيبة كبيرة.

كذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم "لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس" صححه الألباني

ما هو الكِبر؟ هذا تعريف الكبر يا إخواني، النبي محمد صلى الله عليه وسلم يرد على هذا السؤال "الكِبر بطر الحق وغمط الناس"

بطر الحق يعني: رد الحق، عدم قبول الحق، والإنسان المتواضع يقبل الحق ولو كان من أجهل الناس، يقبل الحق ولو كان ممن هو دونه.

إنما المتكبر يشمخ بأنفه كما قال ربنا: "وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ" البقرة: ٢٠٦

الكبر بطر الحق، يعني رد الحق، وغمط الناس يعني احتقار الناس وازدراء الناس والتعالي على الناس.

ماذا قال رب العالمين في شأن الكِبر؟

قال جل جلاله: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" غافر: ٦٠

وقال تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" القصص:٨٣

النار دار المتكبرين والجنة دار المتواضعين، قال عز من قائل: "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" غافر: ٣٥

الله عز وجل يطمس بصيرة المتكبرين، يطفئ نور قلوبهم، يعمي قلوبهم، وقد قال سبحانه: "فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" الحج:٤٦

قال جل جلاله: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ" الأعراف: ١٤٦

والآيات في ذم الكبر ومدح التواضع كثيرةٌ كثيرة.

ذم الكِبر في السنة النبوية

وفي السُنَّة اسمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين" صححه الألباني

كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث رواه مسلم في صحيحه: " تحاجت الجنة والنار يعنى اختصمت الجنة والنار "فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين" إذن النار دار الجبابرة، دار المتكبرين "وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم؟ قال الله للجنة: إنما أنتِ رحمتي أرحم بِك مَن أشاء من عبادي" اللهم اجعلنا ممن ترحمهم بالجنة يارب "وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي" اللهم نجنا من النار وكل ما قرب إليها من قول أو عمل "ولكل واحدة منكما ملؤها".

كذا روى الترمذي في سننه والحديث صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن مات وهو بريء من الكِبر والغلول والدين دخل الجنة" صححه الألباني

كيف يُحشر المتكبر في الآخرة؟

هذا المنتفش، هذا المنتفخ، هذا الذي يُسعر خده للناس، هذا الذي يشمخ بأنفه – يكلمك من مناخيره – تدرى كيف يحشر فى الآخرة؟ اسمع..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر" حجم النملة الصغيرة "في صور الرجال" في حجم نملة وفي صورة إنسان "يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوه النار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال" حسنه الألباني

لا تتكبر يا عبد الله، لا تتكبر ولا تتعالى.

الناس من حيث التصوير أكفاء الأب آدم والأم حواء

فإن كان لهم فضل يفتخرون به فليفتخروا بالطين والماء

قال أبو بكر رضي الله عنه: "لا يحقرن أحدٌ أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير"

إذن لماذا قال النبي "لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"؟

لأن المتكبر ضم إلى الكبر آفات وأمراض كل متكبر حقود، كل متكبر حسود، كل متكبر قد يصده كبره عن قبول الحق، كل متكبر لا يقبل النصح من أحد، كل متكبر لا يقدر على كظم الغيظ، كل متكبر مغضاب يغضب لنفسه،

يغضب لجاهه يغضب لماله، فالكبر آفه ضمت آفات، ومرض كبير ضم أمراض كلها مهلك ،كلها يفضي بصاحبه إلى النار.

أنواع الكبر

النوع الأول: الكبر على الله

هل يوجد ناس تتكبر على الله؟ نعم كما تكبر النمروز وكما تكبر فرعون أولم يتكبرا على الله؟ أولم يزعم كل واحد منهما أنه إله؟

قال عز من قائل: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" غافر :٦٠ كل كافر متكبر على الله، كل مَن صرف العبادة لغير الله متكبر على الله.

اسمع إلى قول ربنا: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا" الفرقان :٦٠ الكبر الأول التكبر على الله.

النوع الثاني: التكبر على الرسل

تجد الكافر تعتزز نفسه على أن ينقاد لبشر يزعم أنه دونه وهذا في القرآن..

"أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا" المؤمنون:٤٧، "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا" يس:١٥

وقالت قريش: "لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" الزخرف :٣١

أولم يجد رب العالمين إلا يتيم أبي طالب حتى يجعله رسول؟ إذن كان ينزل الرسالة على الوليد بن المغيرة سيد مكة أو على عروة بن مسعود الثقفي سيد ثقيف "لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ".

يوجد ناس تكبرت على الرسل كل مَن يأبى أن ينقاد للرسول، كل مَن لا يعجبه حكم الرسول، كل مَن يستهزئ بالسُنَّة، هذا متكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

النوع الثالث: التكبر على العباد

باحتقارهم، بإذدرائهم، بالتعالى عليهم، قال بن مسعود: "كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتقِ الله قال عليك بنفسك"،

"وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ" البقرة :٢٠٦

إذن ما الذي يتكبر الناس بسببه؟

ما هي أسباب الكِبر؟

السبب الأول: العِلم

هل يوجد ناس تتكبر بسبب العلم؟ نعم إذا أفتى فتوى ولو خالفت الأمة، إذا نُصح لا يقبل النُصح، وإذا قيل له يا مولانا أنت أخطأت يقول لك أنتم سمكرية، أنتم لا تفهموا شيء، يخالف مجامع فقهية ويرد عليه فيأبى أشد الإباء،كِبْره سببه العلم، أنا معي دكتوراه في العلوم الشرعية كيف أنت يا صغير يا واعظ تصلح لي وتردني وتُخطّئني وتُبين لي؟ كيف هذا؟ كِبْره سببه العلم.

قال وهب بن منبِّه: "العلم كالغيث العلم مثل المطر ينزل من السماء حلوًا صافيًا فيشربه الشجر بعروقه فتحوله الأشجار على قدر طعومها فتزداد الشجرة المرة مرارة وتزداد الشجرة الحلوة حلاوة".

ماذا يعني بالعالِم المتكبر هذا أصلاً لم يتربَّ بداية، لم يتأدب بداية أقبل على العلم بأضرانه، بأوساخه، بأنجاسه بخبث نفسه لم يزكي نفسه أو تعلم ما ليس بعلم، ولو تعلم العلم وزكى نفسه لما تكبر أبدًا على الحق.

قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" فاطر:٢٨

السبب الثاني: العمل والعبادة

هذا يحج كل عام ويذهب إلى أداء عمرتين أو ثلاثة كل عام ويقيم الليل ويصوم النهار ويبني المستشفيات ويبث العلم قد يترفع عليك بكثرة عبادته،

وفي السنة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدها يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر فقال: خلِّني وربي، أبُعِثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهب إلى النار" حسنه الألباني

السبب الثالث: الحَسَب والنَّسَب

أنا فلان بن فلان بن فلان، قال رسول الله "انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة، فمَن أنت لا أُمَّ لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أمّا أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة" صححه الألباني

يفتخر بالحسب والنسب.

السبب الرابع: الجمال

وهذا في النساء كثير

يا مدَّعي الكِبر إعجابًا بصورتـه انظـر خلاك فـإن النَتْن تسريبُ
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكِبْر شُبَّان ولا شِيبُ

يفتخر بوسامته وقسامته وعضلاته وقوته.

السبب الخامس: المال

لديه نقود كثيرة.. مادام هو مسكين كان متواضع ويبتسم في وجه الناس ويلقي السلام وكذا وكذا، ربنا أعطى له نقود انتهى.. شمخ بأنفه وانتفش وانتفخ على عباد الله، كهذا الذي انتفخ بسبب ماله وقصته ذكرت في سورة الكهف

"قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ" الكهف :٣٧

يا ابن التراب، هل شغلتك النعمة عن المنعم؟! يا ابن التراب تتكبر على الله بنعمته سبحانه وتعالى!

كيف نعالج الكبر؟

نعالج الكبر بشيئين:

أولاً: أن تعرف عظمة ربك وأن تعرف حقارة نفسك ومن عرف الله حق المعرفة عرف نفسه حق المعرفة، الله هو الغني وأنت الفقير إليه، الله هو القوي وأنت الضعيف إليه، الله هو العزيز وأنت الذليل بين يديه، اعرف ربك واعرف قدر نفسك ما أنت يا ابن التراب ما أنت أيها الإنسان المتغطرس.

رأى المطرف بن عبد الله بن الشخير، المهلب بن أبى صفره وقد مشى وهو يتبختر فقال: يا مهلب هذه مشية يبغضها الله ورسوله قال المهلب: ألا تعرفني؟ – إنت عارف بتكلم مين – قال أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفةٌ قذرة وتحمل في حشاياك العذرة؟ يا إخواني ماذا نحن؟.

تقول عائشة رضي الله عنها: "يا ابن آدم مَن أنت تنتنك عرقة، وتقلقك برقة، وتقتلك شرقة، يا ابن آدم خرجت من مجرى البول مرتين".

كان الحسن البصرى يقول "يا ابن آدم خرجت من مجرى البول مرتين تمسح بيديك عن نفسك الخرأة في كل يوم مرةً أو مرتين وتتكبَّر على الكبير المتعال".

يا إخواني النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار" صححه الألباني

يا مفتخر بنسبك أبوك البعيد آدم قبضة تراب وأبوك القريب خُلق من ماء مهين.. خلق من ماء مهين.

يقول رب العالمين "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ" عبس ١٧:١٩

أنت خُلقت من ماء مهين إذا افتخرت بنسبك فأبوك البعيد آدم خُلق من تراب وأبوك القريب خرج من مجرى البول، خُلق من ماء مهين، إذا افتخرت بمنصبك، بكرسيك اعلم أنها لو دامت لغيرك لما وصلت إليك، اعلم أن هذه المناصب أمانة وستكون في الآخرة حسرة وندامة إلا على من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، إذا افتخرت بصورتك الله عز وجل من الممكن في لا وقت يبدل الصورة، يبتليه ويسلط عليه الآفات والأسقام والبلايا فتتحول الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة يتحول الجمال إلى صورة يبغضها الناس ويكرهون النظر إليها.

يا عباد الله.. الله لا يحب المستكبرين، الله يحب المتواضعين.

وصف ربنا أحبابه بقوله: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" الفرقان:٦٣

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتواضعين وأن يطهر قلوبنا من الكِبر والنفاق والغل والعجب والحسد إنه بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير وهو مولانا نعم المولى ونعم النصير.

أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36